

السورية رماح بوبو.. قصيدتها خارطة غامضة لكنز مجهول

باريس - العواطف والانفعالات البكر التي تملأها حالتها النفسية والمشاعر الفنية للشاعرة السورية رماح بوبو، وببساطة مطلقة كزهرة ربيع نجمية خرجت قصائدها، لتحبس الأنفاس وتغلق المكان، وبمشهدية جميلة عفوية متمكنة على قصص حقيقية وأخرى خيالية تمسك بك لتفتح إسطوانة الأوكسجين لقلبك.

تستشعر رماح بوبو الشعر ترجمانا لانفعالاتها البكر، وللهجة الغامضة التي كانت تعترها مع رذاذ المطر، أو صرير الريح أو ضحكات الشقاوة، "كمن يسك غزل البنات بكفيه الصغيرة ولا يذوب". وعت على نفسها مغرمة بالشعر، وما من لحظة محددة تجسد ذاكرتها وتؤرخ ولادة هذا الولع، كانت تقراء على قصاصة ورقية أو توقف أجهزة الراديو أو قناة التلفاز، أي متى ما التقطت أذنها؛ أيا كان اسم الشاعر أو شكل كتابته لتتبع هذا الولع، كنبته مبكرا ودعمتها ابتسامه الرضا والفرح التي كانت تلمحها تشع من عيني والدها، كلما قرأت له ما كتبت.

استمدت رماح بوبو مخزونها الحروفي من تلك الحاورة المنسية خلف سياج الوعي، حيث تختبئ اللغة التي تجتمعت من القراءة والأغنية والحكاية، وكبذرة حملها غبار طلع الحياة المعيشة لتزهر السحر ساعة تحتاجها القصيدة. لحظة الكتابة في الشعر ومضة كلحظة الغفلة، تدفع باصبعها باتجاه الورق لذلك هي عفوية بالتأكيد، أما الاستغفال اللاحق على التشذيب والتصحيح فيكون قصديا.

الطبيعة والشخص أو نامة قد تفلت من تحت أظافر الريح هي وقود لقلها، فالشعر بالنسبة إليها لا يوفر موضوعا يثيره دون أن يحاول الإبحار في خلاته، والإسماك بالحرف قلبا وقالبا لا يستوجب وجود قضايا مباشرة أو ساخنة كما هو الحال في المقالات الأكاديمية أو السياسية، فالشعر تجل لتفاعل الإنسان مع كل ما يثير قلقه، تساؤلاته، مخاوفه أو أفراسه، ولذلك رسالته هي الإنسان بلا حدود، والتي تبدأ بسؤال ولا تنتهي بجواب.

كانت لها محاولات خجولة (لم تصل إلى حد النشر) في كتابة الرواية والقصة القصيرة إضافة إلى الشعر، الذي وجدت نفسها مأخوذة لفضائه فاكتفت به ولم تشرك به. وممنة بان لكل شكل إبداعي سمته وشروطه الخاصة، ولا يوجد مانع من المزج بين الأنواع الأدبية شرط أن يتم هذا المزج بحرفية عالية، تجنباً للحصول على وليد مسخ.

عن الهوية الحروفية الفنية الخاصة بها تقول بوبو "حاولت خلق بصمة، ولكن لست أنا من يحدد مدى نجاحي في تحقيق هذه المغامرة. إن اكتشافنا السرب نحو أعماقنا والغوص فيها تاركين الضجيج على السطح كفيلاان بمنحنا هويانا المتفردة، إذ من المحال تشابه روحين كما استحالة تطابق البصمات. القصيدة خارطة غامضة للكثير المدفون. تحتاج دهاء وقراصنة معنى ومغامرين لفك أحاجيها، ولذلك تستتول زمانا طويلا للوصول. إنها تلك المنارة التي تومض لتدل السفن البعيدة على الاتجاه الصحيح. القصيدة الحق بهية دائما ولكن ليس كل ما يطلق

عنه اليوم اسم قصيدة هو كذلك". وتصرى الشاعرة أنه ليست للمكان أهمية في لحظة ولادة القصيدة قد تترك الصحون في المجلس وتسرع لتدوين ومضة. قد تكتب القصيدة في ذهنها أثناء المشي أو في الباص، فقط الوحدة هي الطقس اللازم الذي تحتاجه حين تسعى لتوثيق الولادة بالحبر، ولكل مبدع أسلوبه الخاص في بناء سكنه الروحي، فالبعض يهوى السرد فيما يفضل غيره فلاشات يربطها رابط سري يترك للقارئ اكتشافه، وآخرون قد يتبنون الحوار.. إلخ المهم في البناء أن يكون سلسا يسهل على القارئ الإبحار فيه دون زوايا تتركه وتتسنت استرساله أو متاهات تخرج به إلى الضياع.

وللشاعرة بوبو نظرة في الملتقيات الأدبية ومنصات التواصل الاجتماعي في حاضرها، وفي ذلك تقول "بتعريفها اللغوي بالتأكيد تساهم في دعم الحركة الثقافية. أما بتعريفها الواقعي فنبل منا أن نتكفي بقول "لا دون أن نتهمها بالتحريب. أعيب على المؤسسات الثقافية الاستخفاف بمسؤولياتها حين تستضيف أو تنشر دون تدقيق وحرص. أما إن أردنا الكلام عن منصات التواصل الاجتماعي فهي ذات حدين. أولها إيجابي باتاحتها المنبر للجمع ودون أي احتكار، فيتلمس البعض الحريص مستواه ويعمل على تحسين نضجه، مما اكتسبه من اطلاعه على الكثير من التجارب والمقارنات بينها ومن تعليق الآخرين على نصوصه، ولكن الاعتماد عليها كوسيلة للمعرفة ولاكتشاف موقعه في الساحة الأدبية فهنا الطامة الكبرى لما تحفل به هذه المنصات من مغالطات مدعين ومن نفاق".

استعانت الشاعرة بمثل شعبي لوصف المشهد الثقافي في الوقت الحاضر "طببخ القرباط - تكاثر مربع مع أعداد الكتاب يشتت أنواع المجالات في غياب النقد وطغيان الجمالة والمحسوبيات". ووضحت أننا نحتاج لشهور من التفرغ لغربة الغث من الرث، وهذه الفوضى شكل من أشكال مقاومة الخراب الذي سببته الحرب وإنها متفائلة بان تحصل على بعض الزبدة من هذا الخيض.

صرحت الشاعرة بان "النقد بالعام غائب عن الساحة. فإن اطل فمروره خجول مجامل وسطحي يفقد للكثير من أدواته. عني شخصيا أنا سعيدة بانني لفت انتباه عدد من الأساتذة في سوريا وخارجها تناولوا تجربتي بالدراسة ببعض التفصيل، وقد نشرت تلك الدراسات في جرائد عدة كهيروال الأسترالية ومجلة الرؤيا الصادرة من لندن".

نشرت رماح بوبو ديوانين شعريين "تفاحت وقد سرقتها" و"البحر يبحث عن أزرقه" ولديها ديوانان آخران جاهزان للنشر، لكنها لم تدفع بهما إلى المطبعة بعد، والعمل الأهم بالنسبة إليها لم يصدر بعد. هدفها أن ترى أشعارها مطبوعة وقد تحقق لها هذا. وطموحها ألا يخذلها الوحي يوما، وأن ترسيخ خلق بصمتها الخاصة.

يذكران رماح بوبو من مواليد اللاذقية، وهي مهندسة تعمل في التعليم المهني.

رسالة الشعر هي الإنسان

إذا تخلينا عن الحقيقة سينهار العالم

الأخبار الزائفة ونظرية المؤامرة وما بعد الحقيقة.. ظواهر خطيرة



ثلاثة مشككين عيبين (لوحة للفنان سيوران باران)

وممولون، ومروجون، ومستهلكون عرضيون أو مدمنون، حتى بات الاعتقاد بنظرية المؤامرة كافيون، ولكنه "أفيون الأغبياء".

ما بعد الحقيقة

أما الظاهرة الثالثة، الناجمة عن الظاهرتين الأوليين، فهي "ما بعد الحقيقة" وقد ابتكر المصطلح الكاتب الأميركي من أصل صربي ستيف تيسيس (1942 - 1996) ثم شاع استعماله عقب الحرب على العراق للتدبير بقافة سياسية تغيب الحقيقة عن قصد، وانتقل إلى بريطانيا عند احترام حملات الاستفتاء حول البقاء أو الانفصال عن الاتحاد الأوروبي حتى دخل المصطلح معجم أوكسفورد عام 2016 في تعريف حده بـ"اللحظة التي تكون فيها الحقائق الموضوعية أقل أثرا في تكوين الرأي العام من إشارة الانفعال واستحضار المعتقدات الخاصة". ثم دخل معجم لاروس في العام الموالي نفس المعنى تقريبا.

نظرية المؤامرة ظاهرة لا تقل خطرا عن الفيك نيوز في نفيها للحقيقة، وابتداع حقائق بديلة تتحدى المنطق

وفي رأي أنصار تيسيس أن الأميركيان لن يحققوا المراد إذا اكتفوا بإدانة أكاذيب ترامب أو هذيان القائمين بالمؤامرة، لأن الطرفين في النهاية لا يبحثان عن الحقيقة بقدر ما يعبران، ولو بطريقة ملتوية، عن غضب جانب من الرأي العام، ويضعان خطاب السلطات الرسمية موضع شك، لأن الغاية هي محاولة فهم هذا الاستعمال المحرف للشك والمعلومة الذي يهدد التداول الديمقراطي، وكيف السبيل إلى تداركه دون أن يضع المرء نفسه في موضع الدغماني الذي يزعم امتلاك قول الحق عن الحقيقة.

في كتاب "ضعف الحقيقي"، تقول المفكرة الفرنسية مريام ريفو دالون "لإنقاذ عالمنا المشترك، ينبغي أن يظل الحقيقي والكاذب صنفين إجرائيين. لأننا إذا تخلينا عن الحقيقة والموضوعية سلمنا ما نستطيع فعله إلى أفيوية يعتبرون تلك المثل غير ذات جدوى".

حقائق بديلة تتحدى المنطق في أكثر من وجه. في كتاب "أفيون الأغبياء"، يؤكد رودي ريشستاد مؤسس مرصد المؤامرة ConspiracyWatch أن المؤامرة complotisme مصدر استدلالي وضع لخدمة صراع سياسي، وأن خلف كل نظرية مؤامرة أيديولوجيا تفضل التحرك في الخفاء، فهي أكثر دهاء مما نتصور، وهدها الأول ليس الإنعاش بفرضية أو نظرية وإنما تدمير المرجعية المشتركة على نحو يزل هو أيضا الواقع الحداثي الفعلي إلى مستوى وجهة نظر. ولذلك تعد عبارات كـ"العملاء الأجانب" و"أعداء الوطن" و"التخابر مع قوى خارجية" من الأدوات الكلاسيكية للحكومات المستبدة، لأن غايتها نشر اللاتباؤ وزرع الشك في الأذهان، وهو ما حدث مثلا عقب تسميم الروسي سرجاي سكريبال عام 2018، فقد ظهرت عدة نظريات مختلفة، بل متناقضة أحيانا، روجتها الوسائل الإعلامية والمواقع الاجتماعية الموالية لبوتين، لأن الغاية منها ليست نقل الخبر بامانة، بل زرع الشك في النفوس حتى تختلط "الأخبار" في ذهن الفرد فلا يعرف أنها يصدق، وبذلك تغيب عنه الحقيقة، أو يغدو لكل فرد حقيقته.

وانتشار هذه الظاهرة، في نظر ريشستاد، ليس عرضا من أعراض أزمة ديمقراطية ليبرالية فقط، بل هو أيضا عامل استفحال لها أيضا. فنظريات المؤامرة يتم تبادلها بنفس الحماس الذي يتبادل فيه التطير والعلوم المزعومة والروحانيات الجديدة والأيدولوجيات الراديكالية. وما حصل تخص مصالح الدعاية الدولية وحدها، بل تشمل أيضا أفرادا وجدوا فيها مصدرا للكسب، من خلال مواقع تدر عليهم موارد هامة متأتية من الإعلانات الإشهارية إذا استطاعوا استقطاب عدد وافر من المتابعين، وقد جعل من دعائها اعلاما كما حصل مع الفرنسي تيري ميسون. لذلك تراهم يقتنصون كل فرصة للتشكيك في الخطاب الرسمي واقتراح صنع أخرى من نسج خيالهم، كما حصل مؤخرا مع جائحة كورونا، حيث تعددت النظريات حد التناقض، لأن الهدف من وراءها ليس تكذيب حقيقة بل تكذيب كل الحقائق، حتى يصيب الناس شك في كل ما ينشر، لغايات تقف وراءها مختبرات،

لا جدال أن هذا العصر شهد ثورة أنثروبولوجية ثالثة، وقطعية انتقل فيها ال"هوميو سايبينس" من عالم إلى آخر، ولئن حملت هذه الثورة معها مستحدثات غير مسبوقه فتحت له أبواب الاكتشافات والاختراعات المذهلة، فقد جاءت أيضا بظواهر قد تلغي كل ما تحقق.

ووسائل الإعلام التي تشكل بصديقتها سلطة في حد ذاتها كصحيفة نيويورك تايمز مثلا.

هذا الانفصال بين وجهة النظر والواقع يمكن فهمه بالرجوع إلى أرسطو وتمييزه بين الحقيقي والمرجح في ما يخص العمل الديمقراطي، لأن الدأولة تهدف إلى إثبات حقيقة المقترحات حتى يصح تقريرها، عملا بما أسماه الإغريق الإيزغوريا (أي الحق الشرعي لأي فرد في التعبير عن رأيه) لأن الحوار، الذي يفترض وجود تباين في

المواقف والآراء، هو جوهر الديمقراطية، ومن دونه تصبح المدينة فارغة. ولكن بعد الجدل ينبغي أن يتفق الفرقاء على حقيقة يقرب بها الجميع، كان يمكن أن تكون عكس ذلك، لأنها بخلاف الحقيقة الإيستيمولوجية تخضع للضرورة، ومن ثم فهي جائزة. وإن كان من الأفضل الوصول إلى حكم يلتقي فيه الجميع ويسمح ببناء شيء مشترك. وهذا ما عنته حنة أرندت في حديثها عن ضرورة التمييز بين البحث عن الحقيقة المطلقة، حقيقة الفلسفة الأفلاطونية، وظروف الحكم السياسي الذي يجري في العالم المشترك في ممارسة التعددية وبواسطتها.

والخطر هنا يكمن في تحول الحقائق الحديثة الفعلية إلى وجهات نظر، ما يفتح الباب أمام سيطرة التكاؤ وعدم التمييز. وفي عالم يمحى فيه الفصل بين الحقيقي والكاذب، ينتفي الجدول وتخفى الديمقراطية. وبما أن الفكر الأيديولوجي مستقل عن الواقع القائم، فكل ما هو حداثي فعلي في نظر ذلك الفكر مصنوع عارض، وبالتالي فهو لا يملك معيارا موثوقا به يسمح له بالتمييز بين الحقيقة والزور.

نظرية المؤامرة

الظاهرة الثانية هي نظرية المؤامرة، وهي ظاهرة لا تقل خطرا عن الأخبار الزائفة في نفيها للحقيقة، وابتداع



أبو بكر العيادي كاتب تونسي

رافقت الثورة الأنثروبولوجية الثالثة العديد من الظواهر التي تتعارض مع الحقيقة التي هي جوهر كل شيء، فالغناء الحقيقة الساطعة يجعل كل شيء نسبيا، لتصبح الحقائق العلمية والمعادلات الرياضية والاختراعات الفيزيائية وجهات نظر، يمكن لأي شخص تصديقها أو الطعن فيها. من هذه الظواهر التي تنخر مجتمعات هذا العصر الأخبار الزائفة ونظرية المؤامرة وما بعد الحقيقة.

الأخبار الزائفة

الظاهرة الأولى أي الأخبار الزائفة، أو الأخبار الكاذبة، قديمة قدم البشرية، ولكنها التصقت في الأعوام الأخيرة بدونالد ترامب، أكبر رئيس كذاب في تاريخ الولايات المتحدة، فقد داب على وصف كل ما ينسب إليه من أفعال وأقوال وتصرفات بالأخبار الكاذبة، حتى وإن اثبتتها قرائن وشهود، فهو لا يلغي الحقيقة فحسب بل يضع بينها وبين الكذب نوعا من التشويش المقصود، حتى باتت الأحداث الفعلية أحداثا بديلة، وبذلك أصبح من الممكن إنكار الواقع بحضور من كانوا شهودا عليه، فالاشياء على اختلافها غير حقيقية ما لم تكن في صالح الرئيس الأمريكي.

إلغاء الحقيقة يجعل كل شيء نسبيا، لتصبح الحقائق العلمية والمعادلات الرياضية والاختراعات وجهات نظر

ولم يقتصر الأمر على الحقيقة الحديثة الفعلية بل تعداه إلى الحقيقة العقلانية التي ترجع بالنظر إلى العلم، فقد رافق صعود التطرف عبر العالم، وفي الغرب بصورة خاصة، أزمة تصديق وتكذيب للحقائق العلمية كالاتحاد الحراري، والحقائق الطبية كاللقاحات،